الباب الثالث والعشرون
في ذكر مقالات وعظية وهي على كل حال أدبية وجملة فوائد شتى وحكم جمة

المقالة الأولى
في الخلق الحسن

اعلموا إخواني ـ وفقني الله وإياكم لطاعته ـ أن أفضل شيء حل في وجود الإنسان، وأحسن جوهرة تزين بها عقد تركيبه العقل الداعي إلى كيفية تهذيبه في أساليبه، وأفضل درة ترصع بها تاج العقل في تزيينه وترتيبه الخلق الحسن الذي فضل الله به خير خلقه في تعليمه وتأديبه وخاطب بذلك نبيه الكريم، فقال عز من قائل ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾[1]. وبالخلق الحسن ينال شرف الذكر في الدارين، ولا يضع الله سبحانه الخلق الحسن إلا فيمن اصطفاه من الثقلين، وأفضل جنس الإنسان بعد الرسول الرفيع الذي هو سيد الجميع الملك الذي يحيي أحكام شريعته، ويمشي على سنته وطريقته، وإذا كان الملك حسن الخلق والفعال فهو في الدرجة العليا من الكمال؛ قال الرسول النجيب صاحب التاج والمعراج سيدنا محمد ﷺ: «**ألا أخبركم على من تحرم النار على كل هين لين سهل قريب**»[2]. انتهى.

* * *

(١) سورة القلم، الآية: ٤.

(٢) أخرجه أحمد (١/ ٤١٥، رقم ٣٩٣٨).

المقالة الثانية

في الصاحب

اعلموا إخواني أن الإنسان يحتاج إلى أشياء كثيرة وأعظمها ـ أي أعظم ما يحتاج إليه ويعول في التحصيل عليه ـ الصاحب الصافي، والصديق الموافي، والخل المصافي، والرفيق المساعد في وقت الشدائد؛ فإن المال ميال، والذهب ذاهب، والفضة منفضة، والملبوس بوس، والمآكل مناكل، والخيل خيال، والفواضل شواغل، والدهر قاص، والعصر عاص، والأقارب عقارب، والوالد معاند، والولد كمد، والأصدقاء نكد، والأخ فخ، والعم غم، والخال خبال، والدنيا وما عليها لا يُركن إليها، وما ثم إلا رفيق ذو وفاء مجبول على الصدق والصفاء، إن غبت ذكرك، وإن حضرت شكرك، مأمون على نفسك ومالك وأهلك وعيالك في حالك ومآلك، إن غاب عنك صانك، وإن حضر عندك زانك، فهو أفضل موجود يُقتنى، وأحسن مورود يصطفى، فإن ظفرت به [فتشبث][1] بسببه وكن عون له كما أنه عون لك. انتهى.

* * *

(١) في الأصل: «فتثبت»، والمثبت يقتضيه السياق.

المقالة الثالثة

في الأمل

يا إخواني، إياكم وطول الأمل، فإنه مفسدة للعلم والعمل، ولا يأتي لصاحبه بير ولا يجر له إلا نهاية الضرر والضير.

قالت الحكماء وعقلاء العلماء: الأمل شبكة الشيطان، ومبغوض صاحبه عند الرحمن، وموجب للطرد والحرمان، عاقبته وخيمة، ونية صاحبه ليست سليمة، ما دام لك على النفس ملكة من هذه الشبكة، فاحذر أن تقع في تلك الهلكة، ولا تهتم للأقوات فكل ما قسم قوات، وكل ما هو آت آت، وكل ما رقمه القلم في القِدم وأثبته قضاء الله تعالى عليك وأنت في العدم سواء كان خيرا أو شرا نفعا أو ضرا لا بد وأن يكون، ولا تجتمع إلا بمثلك في الجماعات والجمع، ولا تتعب لجوع وعري واكتساء وشبع، بل لا بد وأن تستوي عندك الأحوال، فإذا مرت عليك أهوال فلا تضجر لتلك الأهوال، فقد قيل إذا شبعت فلا تهتم للجوع، فكم من شبعان مات قبل أن يجوع، وإذا اكتسيت فلا تهتم للعري فكم من مكتس مات وثيابه جديدة مطوية.

واعلم أن طبع الدنيا بالخلائق كأنها على المخالفة محالفة، فإذا ضممت عنها يدك إليك وجاءت تهوي تحت قدميك وتمشي بها أسفل رجليك، تذللت لك تذلل الطالب للمطلوب، وخضعت خضوع الراغب عند المرغوب، وسايرتك مسايرة المحب للمحبوب، وناشدتك إلا ما ملت إليها، فأنت عندها على الدوام مرهوب، وإذا طلبتها هربت منك، وكلما ارتبطت إليها انحلت عنك، فلا تنظر إليها ولا تعول عليها، وتأمل قوله تعالى: ﴿أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ

نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي ٱلْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾[1] . انتهى .

* * *

(١) سورة الحديد، الآية: ٢٠.

المقالة الرابعة

في الدنيا

اعلم أيها الأخ الصالح، واسمع نصيحة مشفق ناصح، ولا تغتر بالدنيا وزهرتها، ولا تنظر إلى حلاوتها وخضرتها، وإياك والميل إليها، وأن تصفو نفسك إلى زهرتها ونضرتها، فإنك إن ملت إليها أسرتك، أو جبرتها على الركون لديها جبرتك وكسرتك، وحسبك منها ما كفى، فخذ من العيش ما صفا، فإن الغبار يطير ويظهر ما تحته للغني والفقير، ومآلك للتراب، ثم تناقش الحساب، فإن سمعت قولي ورعيته، وعلمت بنصحي ووعيته، نلت الأماني وحق من أنزل على نبيه ﷺ السبع المثاني، وكفاك من كلام الرب الغفور ومن بيده مقاليد الأمور: ﴿إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾[1].

* * *

(١) سورة لقمان، الآية: ٣٣.

المقالة الخامسة

في الجهـل

إن أولى ما أقول ، وأجدر شيء يكون عنه السول ، ويتلقى بالقبول وقد دلت عليه النقول ، اعلموا إخواني أن الجاهل يعرف بثلاث علامات :

إحداها : غاية المرغوب أن يرى نفسه عارية عن الذنوب ، وهذا غاية الأسف عند من عرف ؛ فإنه لا ينبغي لأحد أن يعرف نفسه إلا بالتقصير وأن ربه عليه قدير .

الثانية يا رفيق الخير : أن يرى نفسه أعلم من الغير ، وهذه أيضا غاية في الجهالة ، وليست إلا دأب أهل السفالة ، وكيف يغفل عن كلام العزيز الرحيم إذ قال عز من قائل : ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾[1] .

الثالثة : أن يرى أنه انتهى في فنون العلم والنهى وبلغ أعلى المراتب ، وهذا أيضا من أكبر المعايب ؛ ولذا قالت الحكماء : إذا رأيت نفسك عارية عن العيوب ، وتصديت لتتبع عثرات الناس بالغيوب ، وفتشت عن عيوبهم الجيوب ، فإنك حينئذ غارق في بحر العيوب ، والذي أنت طالبه مطلوب .

وانظر يا ذا السكينة ما قاله الإمام مالك بن أنس ـ رضي الله تعالى عنه ـ حبر المدينة : ليكن جل مطلوبك حرصك على تفقد عيوبك ، وقم بذلك على نفسك وذاتك تقهر حسادك ورقباءك وعداتك . انتهى .

* * *

(١) سورة يوسف ، الآية : ٧٦.

المقالة السادسة

في الإخوان والإنسانية

اعلم أخي أن غالب الإخوان في هذا الزمان مسلوبة الإنسانية وإن كان في زي الإنسان، إذ ما ثم إلا من إذا أحسنت إليه أسا، ومن لو ترفقت له قسا، ومن إذا نفعته ضرك، وإن أمنته غرك، وإذا كان هذا فيمن تحسن إليه وتسبغ ملابس أفضالك عليه، فكيف حال من تضمر له النكال، وتتمنى وقوعه في شرك العقال، أنى تراه يصفو لك ويتعاون سؤالك ومأمولك وهو مترقب غلبة غولك، متوقع منك أن يصير مقتولك، والله تعالى لكمال قدرته وإسبال ذيل رحمته خلق الكبير الأعلى محتاجا لخدمة الصغير الأدنى، وجعل الحقير الأدنى محتاجا لرحمة الكبير الأعلى، ولهذا نوّع الخلقَ مَن خَلَقَ الخلْق، وأحوج الخلقَ إلى الخلْقِ، وهو غني عن الخلق، وأجرى الرزق على الخلق بأسباب الخلق، وأخدم الخلق من الخلق، وأعلى بعض الخلق على بعض الخلق ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾[1]. انتهى.

* * *

(١) سورة الملك، الآية: ١٤.

المقالة السابعة

في الخالق جلا جلاله

اعلموا إخواني أن مبنى الأمور في مجاريها، وقواعد ما أسس عليه مبانيها تقدير خالقها وتدبير باريها، وما حكم به في الأزل وقضاه أحكمه وأتقن صنعه وأمضاه، لكنه كتمه وأخفاه فلا تدركه العيون والأبصار، بل ولا البصائر والأفكار، فإنه علم غيب وجهلنا به ليس بعيب، تنزه سبحانه عن أن يدرك بحاسة تحسه، وتعالى حكمه وقدسه تنزه أحدا صمدا قال تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾﴾[1]. وإن الله العلي الأعظم قد وضع أساس بنيان العالم على الأسباب، وفتح لتعاطي الأسباب الأبواب، فقال ذو الجلال وولي الأفضال: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾[2]. وقال عز من قائل: ﴿فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾[3].

* * *

(١) سورة الجن، الآية: ٢٦.

(٢) سورة العنكبوت، الآية: ٦٩.

(٣) سورة الملك، الآية: ١٥.

المقالة الثامنة

في الفقر والغنى

اعلموا إخواني أن الرجل الفقير المعدم إن تكلم عابوا عليه كلامه، وإن حكم في شيء نقضوا عليه أحكامه، وإن تحكم في أمر قالوا: إنه عاجز في الحرب. وإن تقدم في الحروب قالوا: لا يقدر على الضرب. وإن بارز قالوا: مجنون. وإن ناضل قالوا: حليف المجون.

وعلى كل حال فإن الفقر يسيء الفعال، ويشين الأحوال، ويجمع الأهوال، ويوقع في ورطات العقال، تشيب منه الفتيان، ويسقم صحيح الأبدان، مبعد للأقارب، ويجعلهم كالأجانب، وقاطع الأرحام، ومانع السلام، ومبغض الأحباب، ومفرق الأتراب، ومشتت شمل الأصحاب.

وأما ذو المال فهو على عكس هذه الأحوال، فإن رأوا منه فضلا كان لكل مكرمة أهلا، فرفعوه على العَيُّوق[1]، وكان المعظم المرموق، إن أعطى قليلا استصغروا حاتما[2] عنده، وأطنبوا بلسان الثناء في شكرهم رفده، وإن بخل قالوا: مدبر لا يضيع ماله. وإن كذب صدقوا قيله وقاله.

وللإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه في ذلك[3]: [الكامل]

إن الغني إذا تكلم بالخطا ... قالوا أصبت وصدقوا ما قالا
وإذا الفقير أصاب قالوا كلهم ... أخطأت يا هذا وقلت ضلالا
إن الدراهم في المجالس كلها ... تكسو الرجال مهابة وجمالا

---

(١) العيوق: كوكب أحمر مضيء بحيال الثريا. لسان العرب (ع و ق).

(٢) يشير إلى حاتم الطائي المشهور بالكرم في الجاهلية.

(٣) الأبيات لأبي العيناء في ديوانه ١٣، وانظر: معجم الأدباء ٢/ ٤٢٦.

فهي اللسان لمن أراد فصاحة وهي السلام لمن أراد قتالا

وبالجملة فحركات الغني مستصوبة ، وكلماته مرتشفة مستعذبة ، ولله الأمر جميعا .

* * *

المقالة التاسعة

في الغضب والحلم

اعلموا أيها الإخوان أن بني آدم مركبون من الرضا والغضب، والحلم والصخب، والرفع والحط، والقبض والبسط، والقهر واللطف، والظرافة والعنف، والخشونة واللين، والتحريك والتسكين، والبخل والسخاء، والشدة والرخاء، والوفاء والجفاء، والكدورة والصفاء، فكل له نصيب من هذه المذكورات، فمن أخطأه الرديء أصابه الطيب؛ لأنهما ضدان، وهما على الحقيقة لا يجتمعان، فمن أمكنه أن يتخلق بالأخلاق الحسان نزع إليها فإنها محمودة العاقبة عند المالك الديان، ومن كان في مضيق فليصبر، ومن دعي إلى بخل فلينفر، فمن جعل السماحة له عادة فاز بالحسنى وزيادة، ومن سامح من عثر فاز بوافر الأجور ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾﴾[1]. انتهى.

* * *

(١) سورة الشورى، الآية: ٤٣.

المقالة العاشرة

في العقل والتأمل في صانع العالم

اعلموا إخواني أن صانع العالم تعالى شأنه وتعاظم بيَّن أمور المبدأ والمعاد، وما بينهما من معاش مستفاد على قاطع دليلين عظيمين جليلين:

أحدهما: العقل الذي هو مناط، أعني متعلق التكليف.

وثانيهما: قواعد الشرع الشريف.

فإن أردت أن تكون سعيد الدارين فاستمسك بأذيال هذين الدليلين.

أما العقل: فهو الدليل القاطع على وجود ذاته، كذلك هو مستقل بالدلالة على تحقيق صفاته، ثم ورد بذلك الشرع فتأكدت في وجود الصانع دلالة العقل بالسمع.

وأما وحدانية الصانع: فكل من العقل والنقل دليل عليها قاطع، وقد تظافرا في الاستباق إليها وتظاهرا في الدلالة عليها؛ يقول الكافر يوم المصير: ﴿لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾[1].

وبالعقل والسمع يستقيم أمر المبدأ والمعاد، ويصلح حال المعاش، وبالسمع فقط ميت المعاد عاش؛ لأن أمور المعاد من الشرع الشريف تستفاد، والعقل في ذلك تابع سامع، وهو لأوامر الشرع طائع، والمسموع في ذلك دليل قاطع، وعلى كل تقدير يا إخواني فاجعلوا العقل لكم وزيرا تجدوه في ظلمات المشكلات سراجا منيرا، واتخذوا النقل هاديا ونصيرا يكن بينكم وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا. انتهى.

---

(١) سورة الملك، الآية: ١٠.

المقالة الحادية عشر

في جمع المال والأمل

اعلموا إخواني أن الدنيا في معرض الزوال، وأنه لا بد لها من الانتقال، ظلها زائل، ونعيمها آفل لا تبقي على أحد ولو بلغ منها ما بلغ في كثرة المال والولد، إن أعطت نعيما أعقبته هموما متواترة، وإن أولت صحة مرة أتبعتها مرضا مشئوما في مرات متكاثرة، فإن فكرت فيها علمت أنها أعدى الأعادي في منزلة الصديق، وغدارة غدرها لا يعقب سلامة على التحقيق، وإن الله ـ سبحانه وتعالى وجل سلطانه ـ اقتضت حكمته، وجرت بين عباده سنته أن يكون الإنسان على خلاف ما فطره عليه الرحمن، فإنه سبحانه خلقه وجعل عاقبة أمره العبادة، وركب فيه عناده، وأقامه للعمل وجبله على الكسل:

* فأمره بالصلاة وهو كسلان.
* وبالصوم وهو شهوان.
* وبالزكاة وحبب إليه المال.
* وبالحج وكره إليه الانتقال.
* وبالرضا وركز فيه الغضب.
* وبالتسليم والصبر وخمره بالضجر والصخب.
* وبالتواضع ووضع فيه التيه
* والتخلق بأخلاق خالقه، وفي ذلك ما فيه.
* وحكم عليه بالموت وقد تحقق أنه ليس منه فوت وهو يكره عن الدنيا التحويل وأقل أقسامه أنه يحب العمر الطويل

وعلى هذا قد تعود في المكان المتزود أفعال المقيم المؤبد والدائم المخلد، ويبني بناء من لا ينتقل، وعن قليل يتركه ويرتحل، لا سيما من تعلق بالدنيا قلبه، وتشبث بالمال والولد والجاه، واستحكم في ذلك حبه، وقد أخبر العزيز الوهاب في أصدق الكتاب وأوثق الخطاب فقال عز من قائل: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴿١٤﴾﴾[1].

* * *

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٤.

المقالة الثانية عشرة

في التجنب عن الشيطان

اعلموا إخواني أن الشيطان راصد يأخذ بالمراصد في طرق الموارد، وهو للشر قاصد في جميع المقاصد؛ قال الله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ﴾[1]. أي: منه لا تسمعوا قوله، فإنه كذاب أشر، ولا تقبلوا نصحه فإنه غشاش بطر ﴿إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾[2]. ويعدل بهم عن طريق الله، والله تعالى وحده إليه المصير.

واعجبا لمن كان في ظهر أبيه آدم كيف يدخل نارا وقودها الناس والحجارة؟

وكيف لا يسعى في التمتع بنعيم دار دام بها الأنس والبهجة والنضارة؟

يا ابن آدم، إنما طرد إبليس؛ لأنه لم يسجد لأبيك، فالعجب منك كيف صالحته وهجرت ما به تكمل معانيك؟

أما تعلم أن الشيطان لكم عدو مبين؟

أما تعتبر بحال من أضله حتى آل أمره إلى أضيق سجين؟

أما تصغى لقول الحميد المجيد بالمعنى الفريد في محكم التنزيل ذي الفضل العزيز: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝٦﴾[3].

---

(١) سورة النساء، الآية: ٧١.

(٢) سورة فاطر، الآية: ٦.

(٢) سورة فاطر، الآية: ٦.

المقالة الثالثة عشرة

في الصبر على الشدة والقضاء

اعلموا يا إخواني أن البلاء يظهر أحوال الرجال، وما أسرع ما يفتضح المدعي للصبر على هذا الحال.

انظر إلى أيوب نبي الله قد أرسل الله عليه سبعين ألف نوع من العذاب والبلاء فصبر، وما شكا لأحد ما مسه من الضرر.

اسمع يا من تضر به شوكة فلا يطيق لها صبرا، فأيوب المبتلى جربه نقاد العباد على محك الابتلاء، فزاد في الخدمة واجتهد، ورضي بجميع المحن، وما باح في شكواه بسر ولا علن، نودي يا أيوب، أين أنين المكروب قد صبرت على بلائنا، وسلمت لقضائنا سنرد عليك مالك وولدك ونعافي من البلاء جسدك، ولكون الطريق عسرة المسالك ضيقة على السالك بكى فيها آدم، وناح لأجلها نوح، ورمي في النار إبراهيم الخليل، وأضجع للذبح إسماعيل، وبيع يوسف، ونشر زكريا، وذبح يحيى، وابتلي أيوب، وهام مع الوحوش عيسى، وعالج الفقر بعض الصالحين، فالصبر أرجح وأنجح، والرضا بالقضاء أفضل وأكمل، وحسن اليقين أجمل.

ألا أيها المرء الأكمل، انظر إلى ما قاله الرب الكريم في كتابه المبين: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[1]. وإلى ما يسلي المحزون من قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾﴾[2]. ﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾[3].

---

(١) سورة البقرة: ١٥٥.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٥٦.

(٣) سورة النحل، الآيتان: ١٢٧، ١٢٨.

المقالة الرابعة عشرة

في التوبة من المعاصي والذنوب

إخواني ، من تحير في طريق المعاصي الطريق قريب ...

يا من أوبقته الزلات بادر بالتوبة تكن أنت المصيب ...

يا من توالى في المعاصي ارجع فالذي تدعوه وتتضرع إليه يجيب ...

كأنكم بقاطع الآمال قد هجم ، ونقلكم إلى بيت الديدان والظُّلَم ، وفرق من شمل الأحباب ما انتظم ، وقد ندم المفرط حيث لا ينفعه الندم على ذهاب الأعمال في الأيام الخالية ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾﴾[1] ..

ويحك أما تحذر من بوعيده حذرك ؟

أما تستحي ممن أوجدك وصورك ؟

كأني بك والله وقد نسيك الحبيب وأفردك ، وإلى ضيق قبرك أوردك ، وعادت قلوب حزنت عليك سالية ، وزوجتك تزوجت غيرك وأصبحت عن تذكرك ساهية ، وأخذت من مالك نصيبا ، وتمتع به غيرك وهي بذلك غير مبالية ، وبقيت بين عفو من مولاك وبين نكبات شانية ، فتأمل قوله سبحانه : ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾﴾ .

إلى متى هذا التمادي والرقاد ، وبين أيديكم يا إخواني أهوال يوم المعاد ...

يوم يفر الوالد من الأولاد !!

وا حزناه عليكم إذا تبدد شمل أعمالكم من الأرياح ، فأصبح هشيما تذروه الرياح ..

---

(١) سورة الحاقة ، الآية : ١٨.

فإلى متى هذه الغفلة وعلم القبول قد لاح؟

يا غريقا في بحر هواه اركب سفينة النجاة، وأقلع عن أفعالك القباح، وألق نفسك إلى ساحل الندم تجد مولاك أهل الكرم والسماح، وابسطوا الأيدي إلى المولى بالذل والضراعة، وتضرعوا بالانكسار في هذه الساعة، ونادوا يا من لا تضره المعصية، ولا تنفعه الطاعة، نسألك أن تبدل منا الفساد بالصلاح، والخسران بالرباح، وأن تعاملنا بالعفو والسماح؛ فإنك الكريم الفتاح ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾[1].

* * *

(١) سورة النور، الآية: ٣٥.

المقالة الخامسة عشرة

في الكبر والفرح بلقاء الله

[من الطويل]

أيا جارتا إنا غريبان ههنا وكل غريب للغريب نسيب[1]

قد عصفت جوانح الكبر على القراح القشيب، وإنا ليس لنا من الخلود نصيب، بل السير إلى الله، فحق العاقل أن يفرح بلقاه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ۝٦﴾[2].

فحري بالكيّس أن يحرص على ما من العذاب يقيه، ولكن الرجاء في جانب مولاك ملاحظة لازمة تنفعك في أخراك، فتأمل قول الله العلي العظيم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝٦﴾[3].

وإنه يتولى هداك ويثبتك في أخراك على علاك، ولا يقطع من باب الرجاء آمالك، ويصلح أعمالك؛ فإنه كريم وهاب يعطي الجزيل بلا حساب، ويسبب للخير الأسباب، ويجزل الثواب لمن قرب الباب، إنه ولي الجود والإفضال، عظيم النوال سميع قريب، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

انتهت المقالات والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

* * *

(١) البيت لامرئ القيس، انظر: البيان والتبيين ١/ ٢٨٧، وأخبار النساء ص ٥١، والأغاني ٢/ ٤٨٠.

(٢) سورة الانشقاق: ٦.

(٣) سورة الانفطار، الآية: ٦.

خاتمة الباب

وتحفة لذوي الآداب

قال رسول الله ﷺ: «**إن من الشعر لحكمة وإن من البيان لسحرا**»[(١)].

وقال الإمام فخر الدين الرازي[(٢)]: حد البلاغة بلوغ الرجل بعبارته كأن ما يقول بقلبه ـ أي مستكن فيه ـ مع الاحتراز عن الإيجاز المخل والتطويل الممل.

وقيل: البليغ من يحول الكلام على حسب الأماني ويحفظ الألفاظ على تردد المعاني.

ويقال: الكتابة صناعة شريفة تجلس الحقير مجالس الملوك، وهي آلة قانونية تحملها آلة جسمانية، تضعف بالترك، وتقوى بالإدمان.

قال علي كرم الله وجهه: عليكم بحسن الخط فإنه من مفاتيح الرزق.

(فائدة):

البشاشة: اللطف بالإنسان عند قدومه.

---

(١) أخرجه الطيالسي (ص ٣٤٨، رقم ٢٦٧٠)، وأحمد (١/ ٣٠٣، رقم ٢٧٦١)، وأبو داود (٤/ ٣٠٣، رقم ٥٠١١)، والطبراني (١١/ ٢٨٧، رقم ١١٧٥٨). وأخرجه أيضًا: أبو يعلى (٤/ ٢٢٠، رقم ٢٣٣٢)، وابن حبان (١٣/ ٩٦، رقم ٥٧٨٠)، والخطيب (١٠/٣٤٨).

(٢) محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري، أبو عبد الله، فخر الدين الرازي (٥٤٤ ـ ٦٠٦هـ): الإمام المفسر، أوحد زمانه في المعقول والمنقول وعلوم الأوائل، وهو قرشي النسب، أصله من طبرستان، ومولده في الري وإليها نسبته، ويقال له ابن خطيب الري، رحل إلى خوارزم وما وراء النهر وخراسان، وتوفي في هراة، أقبل الناس على كتبه في حياته يتدارسونها، وكان يحسن الفارسية، من تصانيفه: مفاتيح الغيب، وهو ثمان مجلدات في تفسير القرآن الكريم، ولوامع البينات في شرح أسماء الله تعالى والصفات، ومعالم أصول الدين، وغيرها. انظر: الأعلام ٦/ ٣١٣، طبقات الأطباء ٢: ٢٣ والوفيات ١: ٤٧٤ ومفتاح السعادة ١: ٤٤٥ ـ ٤٥١.

(حكمة) :

ما الخلاص إلا بالإخلاص ، لا تثق بالدولة فإنها ظل زائل ، ولا تعتمد على النعمة فإنها ضيف راحل .

من لم يتعظ بغيره اتعظ بنفسه .

لا تنه إلا نفسك عن غيها ما لم يكن لها منها زاجر .

(فائدة) :

حقيقة النميمة : إفشاء السر وهتكه عمن يكره كشفه .

قال فيثاغورس : استملوا الفكر قبل العمل ؛ لأنكم خصصتم به دون سائر الحيوان .

(فائدة) :

الفيلسوف : لفظ يوناني معناه محب الحكمة ؛ لأن فيل محب ، وسوف الحكمة ، والمجمع على استحقاقهم اسم الحكمة عند اليونانيين خمسة : نبدقليس ، ثم فيثاغورس ، ثم سقراط ، ثم أفلاطون ، ثم أرسطاطاليس بن بيقوما حوش قاهر الخصم .

(حكم نافعة) :

* من أقبح الكلام منادمة اللئام .
* إذا ساد السفل خاب الأمل .
* نار الجفوة أحر من نار الصبوة .
* من أحسن إليك قضى حقك وملك رقك .
* الحقد داء القلوب والحسد رأس العيوب .
* من هتك حجاب أخيه انكشفت عورات بنيه .

* لا تصحب من ينسى معاليك ويحفظ مساويك .

* قول اللسان يهلك الإنسان .

* من طال حسده دام كمده .

* مكتوب في الإنجيل : إذا لم يكن الإنسان في عامه خيرا منه في العام الماضي فبطن الأرض خير له من ظهرها .

* من لبس الكبر والصلف نزع منه الفخر والشرف .

* من ركب الفجور لقي الشرور .

(فائدة) :

الهرج ـ بسكون الراء ـ : الفتنة والقتل ، وكثرة الفساد وبفتحها تحير البصر .

(فائدة مهمة في معرفة الأيام السعيدة والنحيسة) :

الأيام النحيسة في كل شهر سبعة ، وهي :

* اليوم الثالث من الشهر ؛ ففيه قتل قابيل هابيل .

* واليوم الخامس ؛ ففيه أخرج الله آدم من الجنة ، وفيه أرسل الله العذاب على قوم يونس ، وفيه طرح يوسف في الجب .

* واليوم الثالث عشر ؛ فيه سلب الله ملك سليمان بن داود ، وفيه قتلت اليهود الأنبياء .

* واليوم السادس عشر فيه خسف الله بقوم لوط ، وفيه مسخ ستمائة نصراني وجعلوا خنازير ، ومسخت اليهود قردة ، وفيه شقت اليهود سيدنا يحيى بالمنشار .

* واليوم الحادي والعشرون ؛ فيه ولد فرعون ، وفيه أغرق ، وفيه أرسلت الآيات على قوم فرعون ؛ وهو الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم .

* والرابع والعشرون ؛ فيه شق النمرود بطن سبعين امرأة ، وطرح الخليل عليه السلام في النار ، وفيه عقرت ناقة صالح .

* واليوم الخامس والعشرون ؛ فيه أرسلت الريح العقيم على قوم هود .

وقد ضبط بعضهم الأيام النحيسة من كل شهر فقال[1] : [المتقارب]

محبك يرعى هواك فهل تعود ليال بضد الأمل
فما كان نقطا بذا نحسه وما كان هملا فسعد حصل

* * *

(١) نفحة الريحانة ٢/ ١٢٧.

(نبذة في الوصايا)

قال لقمان لابنه : يا بني ، إن الدنيا بحر عميق يغرق فيها ناس كثير ، فلتكن سفينتك فيها تقوى الله ، وحشوها الإيمان بالله ، وشراعها التوكل على الله ، فلعلك أن تنجو ، وما أراك بناج[١] .

وعن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ قال : زنوا أنفسكم قبل أن توزنوا ، وحاسبوها قبل أن تحاسبوا ؛ فإنه أهون عليكم غدا ، وتزينوا للعرض الأكبر ، وذلك يوم القيامة يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية[٢] .

وعن علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه وكرم الله وجهه ـ أنه قال : الدنيا مدبرة[٣] والآخرة مقبلة[٤] وأنتم بنون[٥] ـ وفي رواية : ولكل منهما بنون ـ فكونوا من أبناء الآخرة ، ولا تكونوا من أبناء الدنيا ؛ فإن الآن عمل ولا حساب ، وغدا حساب ولا عمل[٦] .

وعن بعض الصالحين أنه قال : لا ينبغي لعاقل أن يحرص إلا على العلم ؛ فإن به ينال المنال ويحرس طالبه ؛ ولذا قيل :

* العلم يحرسك وأنت تحرس المال .

* العلم نفعه باق والمال نفعه زائل .

---

(١) نهاية الأرب ٨/ ١٢٩.

(٢) أخرجه ابن المبارك في الزهد (١/ ١٠٣، رقم ٣٠٦) ، وابن أبي شيبة (٧/ ٩٦، رقم ٣٤٤٥٩) ، وأبو نعيم في الحلية (١/٥٢) ، وابن عساكر (٤٤/٣١٤) .

(٣) مدبرة بما فيها من ملذات .

(٤) مقبلة بما فيها من أهوال وحشر وحساب ونعيم خالد أو جحيم مقيم .

(٥) بنون متعلقون بها تعلق الأبناء بالآباء راغبون فيها ومقبلون عليها لا يلتفتون إلى غيرها .

(٦) البخاري ـ كتاب الرقاق ـ باب في الأَمَلِ وَطُولِهِ .

* المال لا يأتي إلا بالأكدار والعلم لا يأتي إلا بالانتصار .

* خذ من الدنيا بقدر ما يكفيك ؛ فلو أخذت زيادة هلكت .

* لا تعول إلا على صديق يكتم سرك ويهمه أمرك ؛ وهذا قليل فلو عثرت عليه عض عليه بالنواجد .

* التقوى شعار الصالحين وضدها شعار الطالحين .

* لا تتمسك إلا بالصدق ، وذر الكذوب فإنه يرديك ويسرق طبعك من طبعه .

* حل عن معاشرة السفيه ، وتباعد عن اللئام ، وجالس الصالحين وإذا عثر أحد من أصحابك فأقل عثرته ، واصفح عن زلته ؛ فإن السماح رباح ، وإذا سبك لئيم فلا ترد عليه جوابا ، فإنه يموت كمدا ، واحذر الشح فإنه يردي بصاحبه ، واعمل العمل لله فلا تصحبه برياء ولا سمعة ؛ فإن المرائي لا ثواب له في الملة ، وأخلص النية في أمورك كلها ؛ فإن الإخلاص سفينة النجاة ، والعز لا يكون إلا بالله لا بأحد سواه ، والعز بالله دائم والعز بغيره زائل ، فوض أمورك لمولاك ، فبالتفويض يكون علاك ، وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا .

* * *

الباب الرابع والعشرون
في التوبة والاستغفار من الذنوب
والرجوع إلى علام الغيوب

اعلم أخي ـ وفقنا الله وإياك للمتاب وسهل علينا والمسلمين هول يوم الحساب ـ أن الله تعالى أمر بالتوبة، فقال عز من قائل: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[1]. ووعد بالقبول فقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ﴾[2]. وفتح باب الرجاء فقال تعالى: ﴿يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾[3].

وفي الحديث الصحيح عن ابن عمر ـ رضي الله تعالى عنهما ـ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**يا أيها الناس توبوا إلى الله تعالى فإني أتوب إلى الله تعالى في اليوم مائة مرة**»[4].

وروى أحمد بن عبد الرحمن [البيلماني][5] قال: اجتمع أربعة من أصحاب رسول الله ﷺ، فقال أحدهم: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الله تعالى يقبل التوبة من عبده قبل أن يموت بيوم**».

فقال الثاني: أنت سمعت هذا من رسول الله ﷺ؟

---

(١) سورة النور، الآية: ٣١.

(٢) سورة الشورى، الآية: ٢٥.

(٣) سورة الزمر، الآية: ٥٣.

(٤) مسلم (٤/ ٢٠٧٥، رقم ٢٧٠٢).

(٥) في الأصل: «السليماني». والمثبت من المستدرك.

قال : نعم .

فقال : وأنا سمعته يقول : « **إن الله تعالى يقبل توبته قبل أن يموت بنصف يوم** » .

فقال الثالث : أنت سمعت هذا من رسول الله صل الله عليه وسلم ؟

قال : نعم .

فقال : وأنا سمعته يقول : « **إن الله تعالى يقبل توبة العبد قبل أن يموت بصحوة ـ أو قال بضجعة** » .

فقال الرابع : أنت سمعت هذا من رسول الله ﷺ ؟

قال : نعم .

فقال : وأنا سمعته يقول : « **إن الله تعالى يقبل توبة العبد ما لم يغرغر** »[(١)] .

وعن أبي هريرة ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة** » . رواه البخاري وأصحاب السنن[(٢)] .

وعن أبي موسى الأشعري عبد الله بن قيس ـ رضي الله تعالى عنه ـ عن النبي ﷺ قال : « **إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها** » . رواه مسلم[(٣)] .

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٤٢٥، رقم ١٥٥٣٨) ؛ والحاكم في المستدرك (٧٧٧٠) ، والبيهقي في شعب الإيمان(٦٨٠٣) ،

(٢) أخرجه البخاري (٥/ ٢٣٢٤، رقم ٥٩٤٨) . وأخرجه أيضًا : أحمد (٢/ ٣٤١، رقم ٨٤٧٤) ، والنسائى فى الكبرى (٦/ ١١٤، رقم ١٠٢٧٠) ، وابن حبان (٣/ ٢٠٤، رقم ٩٢٥) ، والبيهقي فى شعب الإيمان (١/ ٤٣٨، رقم ٦٣٩) ، والديلمي (٤/ ٣٥٦، رقم ٧٠٢٤) .

(٣) مسلم (٤/ ٢١١٣، رقم ٢٧٥٩)

وعن أبي بكر ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما من عبد يذنب ذنبا فيحسن الطهور ويصلي ثم يستغفر الله إلا غفر له**»[(١)].

وروي في **الصحيح** عن أبي هريرة ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إذا أذنب العبد ذنبا فقال: يا رب أذنبت ذنبا فاغفره لي. قال الله عز وجل: علم عبدي أن له ربا يغفر الذنب، ويأخذ به فغفر له، ثم إذا مكث ما شاء الله وأصاب ذنبا آخر، فقال: يا رب أذنبت ذنبا فاغفره لي. قال ربه: علم عبدي أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به. قد غفرت لعبدي فليفعل ما شاء**»[(٢)].

وكان قتادة ـ رضي الله تعالى عنه ـ يقول: القرآن يدلكم على دائكم وأدوائكم؛ أما دواؤكم فالاستغفار، وأما داؤكم فالذنوب[(٣)].

وكان علي رضي الله تعالى عنه يقول: العجب لمن هلك ومعه كلمة النجاة.

قيل وما هي؟

قال الاستغفار[(٤)].

وقال ﷺ: «**من قال عشرا حين يصبح وحين يمسي: أستغفر الله العظيم**

---

(١) أخرجه البخارى (١/ ٧١، رقم ١٥٨)، ومسلم (١/ ٢٠٦، رقم ٢٢٧). وأخرجه أيضًا: أبو عوانة (١/ ١٩٢، رقم ٦١٠).

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ٤٠٥ رقم ٩٢٤٥)، والبخارى (٦/ ٢٧٢٥، رقم ٧٠٦٨)، ومسلم (٤/ ٢١١٢، رقم ٢٧٥٨)، وابن حبان (٢/ ٣٨٨، رقم ٦٢٢). وأخرجه أيضًا: البيهقى (١٠/ ١٨٨، رقم ٢٠٥٥٣).

(٣) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٧١٤٦).

(٤) المستطرف ٢/ ٢٦٧.

الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه، وأسأله التوبة والمغفرة من جميع الذنوب، غفرت ذنوبه ولو كانت مثل رمل عالج[1]. ومن قال: سبحانك ظلمت نفسي وعملت سوءا فاغفر لي ذنوبي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، غفرت ذنوبه ولو كانت مثل دبيب النمل»[2].

وقال أبو عبد الله الوراق[3]: لو كان عليك من الذنوب مثل عدد القطر وزبد البحر، محيت عنك إذا استغفرت بهذا الاستغفار، وهو هذا: اللهم إني أسألك وأستغفرك من كل ما وعدتك من نفسي ولم أوف لك به، وأستغفرك من كل عمل أردت به وجهك فخالطه غيرك، وأستغفرك من كل نعمة أنعمت بها علي فاستعنت بها على معصيتك. يقول الله تعالى لملائكته: ويح ابن آدم يذنب الذنب ثم يستغفرني فاغفر له، ثم يذنب الذنب فيستغفرني لا هو يترك الذنب من مخافتي، ولا ييأس من مغفرتي، أشهدكم يا ملائكتي أني قد غفرت له.

وقال بشر الحافي[4]: بلغني أن العبد إذا عمل الخطيئة، أوحى الله تعالى إلى

---

(١) عالج: موضع بالبادية فيه رمل كثير.

(٢) أخرج شطره الأخير الديلمي (٣/ ٤٧٥، رقم ٥٤٧١).

(٣) المستطرف ٢/ ٣٧٨.

(٤) بشر الحافي (١٥٠ ـ ٢٢٧هـ/٧٦٧ ـ ٨٤١م) هو: بشر بن الحارث بن علي بن عبد الرحمن المروزي، أبو نصر، المعروف بالحافي: من كبار الصالحين. له في الزهد والورع أخبار، وهو من ثقات رجال الحديث، من أهل (مرو) سكن بغداد وتوفي بها. قال المأمون: لم يبق في هذه الكورة أحد يستحيى منه غير هذا الشيخ بشر بن الحارث.

ترجمته في: طبقات ابن سعد ٧/ ٣٤٢، تاريخ ابن معين: ٥٨، المعارف: ٥٢٥، الجرح والتعديل ٢/ ٣٥٦، طبقات الصوفية: ٣٩ ـ ٤٣، حلية الأولياء ٨/ ٣٣٦ ـ ٣٦٠، تاريخ بغداد ٧/ ٦٧، صفة الصفوة ٢/ ١٨٣ ـ ١٩٠، اللباب ١/ ٣٣١، ٣٣٢، وفيات الأعيان ١/ ٢٧٤ ـ ٢٧٧، العبر ١/ ٣٩٩، دول الإسلام ١/ ١٣٧، عيون التواريخ ٨/لوحة ١٢١ ـ ١٢٣، مرآة =

الملائكة الموكلين: ترفقوا عليه سبع ساعات، فإن استغفرني فلا تكتبوها، وإن لم يستغفرني فاكتبوها[1].

وهذه العبارة ربما كانت مخالفة لما في كتب السنة؛ كحديث الإسراء وغيره، فإنه صريح في أن ترك الكتابة ست ساعات لا سبع[2].

كذا قال بعضهم، وفيه أن الأحاديث الواردة في الست ساعات إنما هي بأمر ملك اليمين لملك الشمال، وأما عبارة بشر الحافي فهي أمر الله عز وجل للملائكة كما هو صريح عبارته فليتأمل، كذا رد بعضهم.

ونقول: إن هذا يلزم عليه خروج الملائكة عن أمر ربها، وهو غير ممكن، فما زال الإشكال باقيا بحالة، إلا أن يجاب بأن هذا يختلف باختلاف أحوال المذنبين، والله أعلم بحقائق الأحوال.

وقيل: إذا أراد الله أن ينقل العبد من ذل المعصية إلى عز الطاعة آنسه بالوحدة، وأغناه بالقناعة، وبصره عيوب نفسه، فمن أعطي ذلك أعطي خيري الدنيا والآخرة، والله أعلم.

اللهم وفقنا لما يرضيك، وألهمنا الصواب والحكمة بجاه نبيك المصطفى وحبيبك المرتضى ﷺ، وعظم وشرف وكرم آمين يا رب العالمين.

= الجنان ٢/ ٩٢، البداية والنهاية ٢٩٧/١٠ ـ ٢٩٩، طبقات الأولياء ١٠٩ ـ ١١٨، تهذيب التهذيب ١/ ٤٤٤، النجوم الزاهرة ٢/ ٢٤٩، ٢٥٠، طبقات الشعراني ٨٤/١ ـ ٨٦، شذرات الذهب ٦٠/٢ ـ ٦٢، شرح الرسالة القشيرية ٨٨/١ ـ ٩٤.

(١) المستطرف ٣٧٨/٢.

(٢) لحديث: «إن صاحب الشمال ليرفع القلم ست ساعات عن العبد المسلم المخطئ فإن ندم واستغفر الله منها ألقاها عنه وإلا كتبها واحدة». أخرجه الطبراني (٨/ ١٨٥، رقم ٧٧٦٥) قال الهيثمي (٢٠٨/١٠): رواه الطبراني بأسانيد ورجال أحدها وثقوا. وأبو نعيم في الحلية (١٢٤/٦). وأخرجه أيضًا: الطبراني في مسند الشاميين (١/ ٣٠١، رقم ٥٢٦)، والبيهقي في شعب الإيمان (٥/ ٣٩١، رقم ٧٠٥١).

خاتمة الباب

وتحفة لذوي الآداب

أقول : قد رأينا جملة من الأدعية المأثورة مما ورد في صريح السنة الشريفة ، أو نقل عن نبي من الأنبياء ، أو عن بعض الصالحين ، فأحببنا إيرادها عقب باب التوبة والاستغفار ؛ لما بينهما من المناسبة ، إذ كل منهما طلب من الباري ـ تبارك وتعالى ـ رجاء حصول النفع بها ، ولأن الدعاء عند الله تعالى بمكان عظيم .

فمنها : ما جاء في الحديث عن أنس بن مالك ـ رضي الله تعالى عنه ـ أنه قال : كان رجل على عهد رسول الله ﷺ يتجر من بلاد الشام إلى المدينة ، ولا يصحب القوافل توكلا منه على الله تعالى ، فبينما هو قافل من الشام إذ عرض له لص على فرس ، فصاح به قف ، فوقف التاجر وقال له : شأنك ومالي .

فقال له اللص : المال لي وإنما أريد روحك .

فقال له : أنظرني حتى أصلي .

قال : افعل ما بدا لك .

فصلى أربع ركعات ، ثم رفع رأسه إلى السماء وقال : يا ودود يا ودود ، يا ذا العرش المجيد ، يا مبدئ يا معيد ، يا فعال لما يريد ، أسألك بنور وجهك الذي ملأ أركان عرشك ، وأسأل بقدرتك التي قدرت بها على جميع خلقك ، وبرحمتك التي وسعت كل شيء ، لا إله إلا أنت ، يا مغيث أغثني ، يا مغيث أغثني ، يا مغيث أغثني .

وإذا بفارس بيده حربة ، فلما نظره اللص ترك التاجر ومر نحوه ، فلما رآه لقحه وطعنه فأرداه عن فرسه ، ثم قتله وقال للتاجر : اعلم أني ملك من ملوك السماء الثانية ، دعوتَ أولا فسمعت لأبواب السماء قعقعة ، فقلت : أمر

حدث. ثم دعوت الثانية ففتحت أبواب السماء ولها شرر، ثم دعوت الثالثة، فهبط جبريل ينادي: من لهذا المكروب. فدعوت الله تعالى أن يوليني قتله، فقبل مني وولاني قتله. واعلم يا عبد الله أن من دعا بدعائك في كل شيء أغاثه الله تعالى وفرج عنه، ثم جاء التاجر سالما إلى النبي ﷺ فأخبره بما جرى له فقال: «**لقد لقنك الله أسماءه الحسنى التي إذ دعي بها أجاب وإذا سئل بها أعطى**»[1].

ومن الدعوات المستجابة هذا الدعاء وهو:

اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت عليك توكلت وأنت رب العرش العظيم، ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن أعلم أن الله على كل شيء قدير، وأن الله قد أحاط بكل شيء علما، اللهم إني أعوذ بك من شر نفسي، ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم[2].

فمن دعا به ثلاث مرات لم يضره شيء.

أقول: ومما جاء في آداب الدعاء:

* أن يترصد الإنسان الأوقات الشريفة؛ كما بين الأذان والإقامة، وحالة السجود، ووقت السحر.

* وأن يدعو مستقبل القبلة.

* ويرفع يديه ويمسح بهما وجهه بعد الدعاء.

* وألا يرفع بصره إلى السماء عند الدعاء؛ لما ورد في النهي عن ذلك.

---

(١) ذكره ابن العماد الأقفهسي في أدب الأكل ١٣١.

(٢) أخرجه أيضًا: الطبراني في الدعاء (١/ ١٢٨، رقم ٣٤٣)، وابن عساكر (١١٨/٦٤)، وابن الجوزي في العلل المتناهية (٢/ ٨٣٦، رقم ١٤٠٠)، وقال: لا يثبت وآفته من الأغلب قال يحيى بن معين: ليس بشيء. وقال البخاري: منكر الحديث.

* وأن يخفض صوته لقوله تعالى: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾[1].

* وألا يتكلف السجع ويأتي بالكلام المطبوع غير المسجوع.

ومن الدعاء المرجو القبول: ما دعا به سيدنا يوسف الصديق الرسول ﷺ حين ألقاه إخوته في الجب مما لقنه جبريل عليه السلام حين هبط عليه وأقعده على الصخرة سالما لم يضره شيء على ما حكاه الثعلبي: اللهم يا مؤنس كل غريب، يا صاحب كل وحيد، يا ملجأ كل خائف، يا كاشف كل كربة، يا عالم كل نجوى، يا منتهى كل شكوى، يا حاضرا كل الملا، يا حي يا قيوم، أسألك أن تقذف رحماك في قلبي حتى لا يكون لي شغل غيرك، وأن تجعل لي من أمري فرجا ومخرجا، إنك على كل شيء قدير[2].

روي عن أبي حنيفة ـ رضي الله تعالى عنه ـ أنه رأى رب العزة تبارك وتعالى في المنام تسعا وتسعين مرة، ثم قال لئن: رأيته تمام المائة لأسألنه بماذا ينجو الخلائق يوم القيامة؟

فرآه وسأله، فقال الله سبحانه وتعالى: من قال عند الصباح والمساء:

* سبحان الأبدي الأبد.

* سبحان الواحد الأحد.

* سبحان الفرد الصمد.

* سبحان من رفع السماء بغير عمد.

* سبحان من لم يتخذ صاحبة ولا ولد.

---

(١) سورة الأعراف: ٢٠٥.

(٢) تفسير القرطبي ٩/ ١٢٢.

* سبحان من لم يلد ولم يكن له كفوا أحد

نجا من عذاب يوم القيامة.

ومن الاستغاثات والدعوات المباركات هذا الدعاء العظيم، فإنه مرجو الإجابة وهو:

اللهم اجعل لي من كل هم فرجا، ومن كل ضيق مخرجا، ومن كل عسر يسرا، ومن كل فاحشة سترا، ومن كل خير سبيلا؛ إنك على كل شيء قدير، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم.

استغاثة شريفة[1]: [المجتث]

أذنبت ذنبا عظيما ... وأنت للعفو أهل
فإن عفوت ففضل ... وإن جزيت فعدل

استغاثة مشوبة بموعظة:

الحكم لله ربي ... إن المصير إليه
سبحانه وتعالى ... أمورنا بيديه
بالعفو إنّي أرجو ... دار النعيم لديه

استغاثة أخرى مرجوة الإجابة: [مجزوء الكامل]

يا من إذا حاط البلا ... وتكاثرت محن الدواهي
فرجتها بدقيقة ... من حسن لطفك يا إلهي

استغاثة أخرى:

يا من عليه اتكالي ... ومن إليه مآلي
ارحم خضوعي ذلي ... وانظر إلى سوء حالي

---

(١) الفرج بعد الشدة ٢/ ١٥٢.

استغاثة أخرى مرجوة القبول : [البسيط]

يا من أياديه عندي غير واحدة ومن مواهبه تنمو على العدد
ما نابني في زماني قط نائبة إلا وجدتك فيها آخذا بيدي

استغاثة وخطاب توسلا بالنبي ﷺ :

وحياة أشواقي إليـ ـك وحرمة الصبر الجميل
ما أبصرت عيني سوا ك ولا صبوت إلى خليل

استغاثة أخرى : [البسيط]

عسى الهم الذي أمسيت فيه يكون وراءه فرج قريب

استغاثة أخرى : [البسيط]

يارب إن كان تمريضي يقربني زلفى إليك فباب الفضل أوسع لي
أو كان من أجل تكفير الذنوب فما يحتاج عفوك للأسقام والعلل

استغاثة أخرى مرجوة الإجابة :

اللهم إني أصبحت في حفظك، وفي أمانك، وفي ركن من أركانك، وفي قبة من حديد أسفلها في الماء ورأسها في السماء، ومفاتيحها يا جميل الستر إذا أحاط البلاء الله حسبي الله حسبي ومحمد، وعلي ركني، والله متولي أمري، يا من الكل منه والكل إليه، يا من مفاتيح السماوات والأرض بيديه، اكفني بكفايتك شر من لم أقدر عليه، ومن أرادني بسوء فعليك به، أدر دائرة السوء عليه، أدر كيده في نحره، ونحره في كيده حتى يذبح نفسه بيده، آية الكرسي تُرسي، و(قل هو الله أحد) سيفي، تحصنت ببس، وتوكلت على رب العرش الكريم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصبحه وسلم.

دعاء آخر :

اللهم وفقني لما يرضيك عني من القول والعمل ، واختم لي بخاتمة السعادة عند انتهاء الأجل ، وارزقني الحسنى وزيادة إذ عفوك عن المذنبين قد حصل .

دعاء آخر :

اللهم لك الحمد ، ومنك الفرج ، وإليك المشتكى ، وأنت المستغاث ، وبك المستعان ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

دعاء آخر مستجاب إن شاء الله تعالى :

تحصنت بذي الملك والملكوت ، وتحجبت بذي القدرة والعظمة والهيبة والجلال والجمال والقهر والجبروت ، وتوكلت على الحي الذي لا يموت ، ورميت كل عدو لي وحاسد وماكر وغامز وشامت وكائد بلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، بكهيعص ، بحم عسق ، فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم ، ستر العرش مسبول علينا ، وعين الله ناظرة إلينا ، بحول الله لا يقدرون علينا ، والله من ورائهم محيط بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ ، فالله خير حافظا وهو أرحم الراحمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

قال جامعه عفا الله عنه :

إلى هنا قد حاولت اليراع[1] في أن يسير وطاولت الكاغد[2] أن يقبل مثل ما سبق من التحبير ، فما لبى واحد منهما ندائي ، ولا جنح إلى إجابة دعائي ، ولوح كل للمنع بصحيح الإشارة ، بل عنون بصريح العبارة ، ونبس[3] بقوله :

---

(١) اليراع : القلم . الوسيط (ي ر ع) .

(٢) الكاغد : الصحيفة يكتب فيها .

(٣) نبس نبسا ونبسة : تحركت شفتاه بشيء وأكثر ما يستعمل في النفي يقال ما نبس بكلمة وما نبس ببنت شفة فهو نابس . الوسيط (ن ب س) .

إني إلى ههنا قد تحاشيت عن ذلك وأمسكت عن طي ما كان مما هناك.

وذكر كل منهما لذلك عذرا يتضمن ترك هذه الذكرى، وأفاد أن هذا الميدان لا يتسابق فيه إلا المبرز من فرسان الرهان، فشأوه لا يدرك وهو حري بأن يترك، والعناية من الله والرعاية من جدواه، وما تقدم كافل بالكفاية عاكف على تمام شأن رعاية الرفول في حلل العناية، فهو الكافي لترويح النفس، وزوال ما يكون من حلول البؤس، لا يقصر عن المطالب، والله سبحانه وتعالى على أمره غالب، ومن رأى هفوة فعليه أن يسبل ذيل الاستغفار، وأن يعلم أن الله تعالى للهفوات غفار، وألا يبادر بالتشنيع فهو من الكيس الحر أمر فظيع: [الرمل]

إن تجد عيبا فسُدَّ الخللا جل من لا عيب فيه وعلا

وليحمل على سبق القلم، أو زلة القدم، والكريم يفصح، واللئيم لا يسمح: [الرجز]

فالناس لم يصنفوا في العلم لأن يكونوا هدفا للذم
ما ألفوا إلا رجاء الأجر والدعوات وجميل الذكر

والحمد لله أولا وآخرا وباطنا وظاهرا، والله الهادي إلى سواء السبيل، وهو حسبنا ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وهو ولي الجود والتكريم، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما.

وكان الفراغ من جمع هذا الكتاب وترتيبه على هذا الأسلوب الذي يطرب به سليم الألباب في يوم الاثنين المبارك في شهر الله رجب الأصب الأصم سابع شهور سنة ١٢٩٥ من هجرة سيد العرب والعجم ﷺ، على يد جامعه وكاتبه بخطه العبد الحقير كثير الأوزار وحليف التقصير الراجي من مولاه، غفر ما جنى

من قبل ومن بعد الفقير إلى الله تعالى محمد سعد غفر الله له ولوالديه، ولمن دعا له بخير، وأنعم بذلك عليه، والله ولي التوفيق لا رب غيره، ولا معبود سواه، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

* * *